لقد كان الاطفال يدركون بالبداهة والمعرفة المباشرة (الاولية) طبيعة الحرب ونتائجها فما من شيء في هذه الرسوم يتجاوز الحقيقة والواقع ، الطائرات هي دوما الطائرات المعادية ، الدبابات هي دوما الدبابات العربية ، الحركة والانطلاقة عند طائرات العدو ، السكون والثبات في مواقع الدفاع العربية . بعض الاطفال يتجاوزون هذا الحس النقدي العفوي للصراع ، الى شكل من اشكال السخرية ، في احد هذه الرسوم ، تجد طائرة معادية ودبابة عربية في لحظة اشتباك ، غير ان تلك الدبابة لا تصيب الطائرة بل تمر من خلفها ، اكان ذلك من قبيل التلميح الطفولي الخبيث ، ام كان مجرد مصادفة ان يرسم طفل دبابة عربية تخطيء هدفها ؟ ومهما يكن ، فان المعاناة الطازجة للحرب ابقت الاطفال قادرين على تمثلها في اذهانهم ووجدانهم ، واخذت خطوطها العريضة ترسم معالم وعيهم للحرب كما عرفوها : حرب طائرات مغيرة ، ومواقع دفاع ودبابات عربية تناوش ، وقوافل النزوح المظللة بالرعب ، ومشاهدات وخيالات مرسومة في دفق انفعالي بقي حبيسا طويلا طويلا ، ثم تفجر أمام اول فرصة تتاح له .

الاطفال والمخيم : يتناول الاطفال في رسومهم البيئة الجديدة بملامحها وقسماتها العامة المميزة ، بالحياة في المخيم ، عبر العديد من الرسوم ، قد اختزلت بحيوية وشمول ، وقد قامت العديد من الصور باكتشاف أعمق خطوطها ، ولم تضع ملامحها بين مئات التفاصيل التي بدت لهم غير ذات بال . وقد رغب اكثر من طفل في تصوير المخيم في منظر عام ، الا ان رؤية كل واحد منهم كانت تختلف باختلاف شخصيته ، وقد وجدنا احد الاطفال يتناول رسم المخيم من خلال الحركة اليومية فيه ، فاظهر الباعة والعربات والاطفال الذين يلهون في ساحاته، واظهر اشكال الخيم المتنوعة المتعددة وهي تحيط بالساحة الرئيسية التي تتوسط المخيم. وثمة صورة تعبر عن رؤية اخرى للمخيم في منظر عام ، لقد اقتنص الطفل لحظة سكون تعم المخيم ، فكانت رؤيته له كمساحات هندسية مربعة او مستطيلة الشكل تحيط بمركز المخيم . وتتوزع الخيم فيما بينها ، مع تشديد بالالوان القاتمة على شوارع المخيم ، فكادت الصورة ان تتحول الى « مخطط هندسي » لولا حيويتها وتنوع الوانها التي تمتعت بكثير من المهارة والذوق . غير ان العديد من الاطفال فضلوا تناول موضوع المخيم من خلال الفعاليات اليومية في أجزاء منه ، في لحظات معينة انتقيت بذكاء ، مثل انتظار المؤن من مطعم المخيم ، المدرسة ، ملء الجرار من الصنابير العامة ، حركة الباعة والعربات والسيارات ، العرس واحتفالاته، المظاهرات ، تدريب الاشبال ، لعبة كرة القدم .. الخ .

ولا تخلو بعض الرسوم من التبشير كتابة ، حيث لا يكتفي الطفل بالرسم ، فثمة صورة حاول صاحبها ان يعبر عن حالة المخيم في الشتاء ، اذ بالاضافة الى تصويره الدراماتيكي لحبات المطر المنهمرة فوق المخيم ، نجد بعض الطائرات تحوم في السماء ، فيعلق صاحب الصورة : — انظروا ايها المتفرجون، ان طائرات العدو لا تفارقنا ، حتى في أيام الشتاء، ولا يرتفع الضرب بالقنابل حتى والثلوج متراكمة . وفي صورة اخرى تمثل خيمة كبيرة ، لا يغفل صاحبها ان يسجل فوقها عبارة تشير الى انها « خيمة الغذاء » في المخيم ، ثم يضيف الجملة التالية : « النساء الفلسطينيات يطلبن الغذاء من اجل اطفالهن ... » . وفي صورة ثالثة نجد مجموعة من الخيم على ثلاثة مستويات ، اثنتين من الخيام تحلق فوقهما طائرتان وتعليق: «طائرتان اسرائيليتان تحلقان فوق مخيم البقعة للنازحين » ثم تعليق ثان « النازحون في المخيم يعيشون عيشة شقاء وتعب » وفي منتصف الصورة خيمتان تتوسطهما طفلة صغيرة ثم تعليق : « طفلة تبكي للعيش الذي تعيشه في الخيمة الحقيرة » . وفي أسفل الصورة خيمة منفردة ثم خمسة اشكال بشرية يقفون بجانبها . ويعلق صاحب الصورة ايضا : « رجال في الصف لاستلام المؤن » . ويختتم الطفل تعليقاته : « سنرجع اليك يا فلسطين باذن الله واننا لعائدون » .

والواقع ان التبشير بالكتابة الى جانب الرسم يمس قطاعا من الاطفال ، وهم غالبا ممن تجاوزوا التاسعة ، اذ يرون ان الرسم وحده لا يسعفهم بالتعبير الشكلي فيلجأون الى الكتابة . وتتضمن رسومهم قيمة تنتمي الى اشكال أخرى من التعبير، فهي اكثر ميلا الى النثر والانشاء الادبي ، وتمثل الرسوم التي من هذا النوع نموذجا خاصا في خضوعها للتأثيرات الناضجة : المعلم ، الدعاية السياسية ، الكتاب المدرسي ، الاسرة ... الخ فيغلب على رسومهم الطابع التوضيحي .

ولا بد ان نضيف ان رسوم المخيم ، على غناها ،